التراث الشعبي المغربي وخطاب الصورة في الكتاب المدرسي:
دراسة في كتب اللغة العربية لمستوى الثانية ثانوي إعدادي

الباحث عبد الله فقير
طالب باحث في سلك الدكتوراه
جامعة ابن طفيل القنيطرة –كلية اللغات والآداب والفنون– مختبر اللغة والمجتمع
تأطير الدكتورة: فاطنة الغزي
المغرب

مقدمة

يمثل التراث الشعبي الجسر الرابط بين الأجيال، يتم عبره وصل الماضي بالحاضر من خلال انتقال عادات وتقاليد ومعارف ومعتقدات شعبية وإنتاجات فكرية ومادية من السلف إلى الخلف. مما يضمن استمرارية هذا التراث عبر الأجيال.

بعد النظرة الدونية التي لحقت بكل ما يحمل صفة شعبي من ثقافة وتراث، وبعد صراع إيديولوجي؛ اكتسب التراث الشعبي مكانة عالية عززتها أصوات ترى بأن الثقافة إنسانية وواحدة من الغلط تفييئها حسب الطبقات الاجتماعية أو الثقافية. وفي هذا السياق اتجهت الأنظار صوب التراث الشعبي، واتُّخِذ كموضوع للدراسة من عدة زوايا: أنثربولوجية واجتماعية واقتصادية... وأصبح يُنظر إليه كعامل من عوامل التماسك الاجتماعي، وكصمام أمان للهوية الوطنية. ولم تقف أهميته عند هذا الحد بل ضمن حضورا بارزا في برامج التنمية البشرية والمجالية باعتباره لبنة من لبنات الانتعاش الاقتصادي الفردي والمحلي والوطني خاصة أنه يساهم إلى جانب عوامل أخرى في تنشيط الحركة السياحة الداخلية والخارجية.

اتخذت هذه الأهمية مظاهر متعددة وفرضت التفكير في آليات للتعريف بهذا التراث والحفاظ عليه، فكثرت المهرجانات والمواسم وعقدت لقاءات وندوات... كما انصب الاهتمام على تدوين التراث الشعبي حتى لا يدفن في صدور الأجداد.

أمام الرغبة في الحفاظ على الهوية الوطنية المغربية، واعتماد الأصالة والمعاصرة كخيار لربط المواطن بجذوره مع الانفتاح على باقي الثقافات. تم اختيار المدرسة كمؤسسة لا غنى عنها في التنشئة الاجتماعية، وحضر التراث الشعبي كركيزة من الركائز التي تنبني عليها

المنظومة التعليمية. ترجم ذلك في مناهج دراسية تستحضر خصوصية الأسلاك واختلاف المراحل العمرية، وكان الكتاب المدرسي من بين أهم الآليات المعتمدة في تنزيل هذه المناهج.

من هنا تبدو العلاقة الوطيدة التي تربط الكتاب المدرسي بالتراث الشعبي، فهذا الأخير يتماشى والغايات الكبرى من التعليم بالمغرب بمساهمته في صون الهوية وضمان التماسك الاجتماعي وسهولة الاندماج في المجتمع. يعزز ذلك اتساع التراث الشعبي المغربي لاحتضان مختلف الثقافات داخل سقف واحد بالنظر إلى غناه بالقيم الوطنية والإنسانية كحب الوطن والتسامح والتعاون...أما الكتاب المدرسي فهو وسيلة من وسائل تصريف المنهاج الدراسي، وهو بذلك يشكل أرضية خصبة للتعريف بالتراث الشعبي وفرصة لنقله من جيل إلى آخر. لهذا أضحى البحث في حضور التراث الشعبي بالكتاب المدرسي أمرا ملحا يستوجب تسليط الضوء عليه من جوانب مختلفة، حتى يتسنى لنا استثماره في مجال التعليم على أحسن وجه. لكن هذا الأمر يطرح إشكالية التوظيف الجيد لهذا التراث بالكتب المدرسية، ويجعلنا أمام تحدي فك خيوط هذه الإشكالية والإجابة على السؤال المركزي التالي:

إلى أي حد تُستثمر الصورة للتعريف بالتراث الشعبي المغربي في الكتب المدرسية؟

يحيلنا ذلك على مجموعة من الأسئلة الفرعية من قبيل:

- هل هناك حضور للتراث الشعبي المغربي في صور الكتب المدرسية المختارة؟ وما طبيعته؟
- هل عناصر التراث الشعبي المغربي حاضرة في هذه الكتب؟
- وهل تمت تغطية جميع مكونات الثقافة الشعبية المغربية؟
- وإن ثبت حضور هذا التراث، كيف كان توزيعه؟

أولا: الدراسة النظرية

إن الحديث عن التراث الشعبي هو حديث عن سيرورة لبناء مفهوم وبلوغ مكانة داخل سياق فكري وإيديولوجي اختلف حول كل ما هو شعبي، نال فيه التراث الشعبي في آخر المطاف، إلى جانب الثقافة الشعبية، مكانة رفيعة ليصبح محط دراسات همت عدة جوانب منه رغبة في تحديد دلالاته وسعيا نحو الاستفادة منه اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا...لذلك يجدر بنا قبل الشروع في دراستنا أن نحيط بماهية التراث الشعبي وأن نتعرف على عناصره.

1. تعريف التراث الشعبي

لا شك أن البحث عن الدلالة اللغوية لأي مفهوم يساهم في تقريب معناه وييسر الوقوف على تشابك العلاقة بين ما هو لغوي وما هو اصطلاحي.

يرجع أصل كلمة تراث إلى الفعل وَرِث وتعني الاستفادة أو تحول الشيء ببذل مجهود أو بدون ذلك. ورد في معجم متن اللغة: «ورِث يرث وُرثا وورِثا ووراثة وورِاثا وتراثا وميراثا وإرثا وإراثا: أباه: صار ما خلفه عليه، فهو وارث وهم ورثة ووُرّاث، والمال موروث والأب موروث... ويقال لكل من حصل على شيء من غير تعب قد ورث كذا. وورث ماله ومجده. و_ فلانا منه علما: استفاد[1]» يعني التراث أيضا أصل الشيء أو ما تبقى منه، يقول فيروز آبادي في تفسيره للتراث بأنه «الميراث، والأصل، والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول، والرماد، والبقية من كل شيء.» [2]

يستفاد مما سبق أن التراث في اللغة يعني الإرث ويدل على الانتقال، انتقال مادي تتحول من خلاله الأشياء المادية من الهالك إلى الوارث، وآخر لامادي يتجلى في الاستفادة من علم أو أخلاق الآخر. من جهة أخرى يُستحضر مفهوم الزمن في الدلالة على التراث من حيث كونه بقايا الماضي في الحاضر.

تشترك بعض التحديدات الاصطلاحية للتراث مع ماهو لغوي في حصر دلالته على عملية الانتقال عبر الزمن باعتباره «كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة.» [3]، وهي بذلك تتطرق لمسألة الانتقال في عمومها دون الحديث عن المنقول المادي واللامادي أو الكيفية التي تم بها هذا الانتقال (شفهية أو كتابة أو عن طريق الممارسة). يقول عبد العزيز بن عثمان التويجري: «التراث بالمفهوم الحديث المتداول هو كل ما وصل إلينا مكتوبا في علم من العلوم، أو محسوسا في فن من الفنون، مما أنتجه الفكر والعمل في التاريخ الإنساني عبر العصور. فلكل أمة إذن تراثها، الذي هو: ثمرة فكرها وعقائدها، وحصيلة جهدها العقلي والروحي والإبداعي.» [4]

يمكن تعريف التراث إذن بأنه كل ما هو مادي أو لامادي منبعه الماضي استطاع ضمان حضوره في ثقافتنا اليومية متجليا في حديثنا وفكرنا وممارساتنا، من خلال معتقدات وفنون وأدوات وعادات... تنتقل عبر الأجيال.

من جهة ثانية تحمل كلمة الشعب معان متقابلة في اللغة إذ تعني الجمع والتفرق. ورد في الصحاح: «الشعب: ما تشعب من قبائل العرب والعجم، والجمع: الشعوب...وشعبت الشيء فرقته. وشعبته: جمعته، وهو من الأضداد، تقول التأم شعبهم، إذا اجتمعوا بعد التفرق، وتفرق شعبهم إذا تفرقوا بعد الاجتماع.» [5] . والشعب في عمومه يدل على الجمع العظيم.

بالمقابل، اختلف التحديد الاصطلاحي لكلمة الشعب خاصة في الشق المتعلق بتعيين من هم فراد هذا الشعب هل الطبقة السفلى من الناس حسب زعم البعض، أم يشمل عامة الناس بكل مستوياتهم الفكرية والاجتماعية. يعرفه هولتكرانس (Ake Hultkrantz) بأنه «عامة الناس الذين يشتركون في رصيد أساسي من التراث القديم.» [6] وهو بذلك يشير إلى المشترك في علاقته بالترابط الزمني بين القديم والمعاصر. زيادة على ما سبق سلط غانيم الضوء في تعريفه للمصطلح على مسألة التميز إذ يعتبر الشعب جماعة بشرية تشترك في نظام من الجماعات» [7]

يمكن القول بأن الشعب يفيد المشترك ويعني فئة من الناس تجمعهم روابط مختلفة كالعادات والدين والعرق ووحدة اللغة...يقول حسين محمد فهيم: « يمكن النظر إلى الشعب باعتباره مجموعة من الناس بطبقاتهم المختلفة وفئاتهم المتباينة، سواء كانت إثنية (أي عرقية) أو مهنية أو دينية، فهم الذين تجمعهم وحدة اللغة والعادات والتقاليد والمشاعر والاهتمامات والذين يشتركون في تراث عام يحرصون على استمراريته عبر الأجيال». [8]

يستخلص مما سبق أن التراث الشعبي كلمة مركبة من جزأين: التراث والشعب، وهي تعني بقايا الماضي في حياتنا اليومية من معتقدات وتقاليد وعادات وأنماط حياة وإنتاجات فكرية ومادية... يقول شاكر مصطفى سليم: « ويتكون القسم الأعظم من التراث الشعبي من بقايا حضارية أو رموز استطاعت أن تحتفظ بقيمتها الوظيفية» [9]، وهو بذلك يتطرق لشرط أساسي من شروط حضور التراث الشعبي عبر الأجيال يتجلى في الاحتفاظ بقيمته الاعتبارية التي تضمن استمرارية توظيفه.

2. عناصر التراث الشعبي

ينقسم التراث الشعبي إلى مادي ولامادي وتتفرع عنه خمسة عناصر أساسية:

أ.المعتقدات والمعارف الشعبية

- **المعتقدات الشعبية:** لها ارتباط بالتمثلات والتوجهات والمبادئ وهي كما يراها محمود مفلح البكر «مجموعة أفكار اعتقادية موازية للدين، وليست الدين ذاته، تقترب منه بدرجات، وتبتعد عنه بدرجات متباينة. فأحيانا تأخذ جزئية من الدين وتضخمها أو تلونها بلون خاص يشت بها عن جوهرها الديني الرسمي، وينقلها إلى عوالم خرافية شبه أسطورية.»[10]

تتميز المعتقدات الشعبية بكونها تعبر عن إيمان وشعور داخلي تجليه سلوكات وممارسات، فهي «خبيئة في صدور الناس، وهي لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر في صدور أصحابها وتتشكل بصورة مبالغ فيها أو مخففة، يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا» [11]. أي أن المعتقدات الشعبية هي شعور داخلي يقيني يتمظهر في سلوكات ومواقف يشترك فيها مجموعة من الناس كالاعتقاد ببركة الأولياء.

- **المعارف الشعبية:** تمثل كل ما خلفه السلف من خبرات وتجارب توارثتها الأجيال وطورتها في بعض الأحيان لتستجيب لحاجياتها وتتلاءم ومتطلباتها حتى تساهم في تيسير الحياة اليومية في كل مجالاتها.

ب. العادات والتقاليد الشعبية

- **العادات:** هي سلوكات مكتسبة تتميز بالانتظام وتصبح تلقائية بفعل حضورها المتكرر في الممارسات اليومية. يؤكد ذلك شاكر مصطفى سليم في تعريفه قائلا « تمارس العادة استجابة لمواقف محددة. وكلما تكررت ممارستها ازدادت رسوخا واستقرارا، وأصبحت ممارستها تلقائية ويسيرة».[12] ومن العادات الشعبية العامة نذكر عادات متعلقة بالميلاد كالتي تكون أثناء الحمل والوضع والختان. وعادات الزواج ترتبط بالخطبة والعرس. وعادات الموت ترافق المحتضر وتمارس خلال الدفن والعزاء. كما أن هناك عادات مرتبطة بالأعياد والمناسبات الدينية والطبيعية، وأخرى يومية كعادات الطعام والأسواق...

- **التقاليد الشعبية:** هي قواعد وأعراف مرتبطة بالممارسات تم الاتفاق عليها واعتمادها من قبل مجموعة بشرية كإجراءات تمارس في وضعيات معينة. وفي علاقتها بالعادات يقول عبد الغني عماد « التقليد إذا ماهو إلا عادة فقدت مضمونها، ولم يعد من الممكن أحيانا التعرف على معناها الأصلي وإنما يمارسها الإنسان لمجرد المحافظة.»[13]

ت. الأدب الشعبي

يقصد بالأدب الشعبي كل ما جادت به قريحة العامة من الناس دون التقيد بالضوابط الأدبية. ويتميز بكونه في متناول الجميع باختلاف طبقاتهم الفكرية والاجتماعية، فهو يعبر عن انشغالات واهتمامات فئة معينة وقد يكون «من صنع مجهول، أو من صنع جماعة من الناس اشتركوا فيه في جيل واحد أو من أجيال متعاقبة في بلد واحد، أو بلاد متفرقة. وربما كان من صنع علم معروف مشهور من رجال الأدب والفن، ولكن سار وتناقلته ألسنة الناس.»[14] . ويضم الأدب الشعبي الحكايات والسير والأساطير والألغاز والشعر...

ث. الفنون الشعبية

لا تختلف الفنون الشعبية عن الأدب الشعبي من حيث قابليتها لاستيعاب جميع الفئات المجتمعية بفعل بساطتها وقربها من انشغالات الناس. ذلك « أن الفنان الشعبي يعبر عن شيء مشترك بين عدد كبير من الناس من أفكار ووجدان ومثل عليا.» [15]. ومن الفنون الشعبية نذكر الغناء والموسيقى والرقص والنحت والزخرفة...

ج. التراث المادي أو الثقافة المادية

يطلق التراث المادي على كل إرث ملموس خلفته خبرات وتجارب السابقين، ويشمل العديد من الأشياء نذكر منها:

- الأدوات: أدوات العمل الزراعي والبناء والعمل الرعوي...والأدوات والتجهيزات المنزلية: أدوات الطعام، والمواقد والأفران...[16]
- المعمار: بأنواعه الثلاثة: الديني كالمساجد والكنائس والمدارس القرآنية، والعسكري كالقصبات، والمدني كالمنازل.
- اللباس والحلي...

3. الكتاب المدرسي

الكتاب المدرسي وسيلة تعليمية تعلمية يتم الاعتماد عليها في التدريس من أجل تصريف منهاج دراسي وتيسير تمكين التلاميذ من معارف ومهارات وكفايات. يذهب باسكال غوسان (Pascal Gossin) إلى أن الكتاب المدرسي «يقترح دروسا تترافق مع وثائق وصور، خطاطات، خرائط، نصوص، إحالات بيبلوغرافية...ويضم الكتاب المدرسي كذلك تمارين تسمح بتقويم مكتسبات التلميذ ويعتمد على إجراءات ديداكتيكية خاصة.» [17]

يأخذ الكتاب المدرسي-على غرار المنهاج الدراسي- بعين الاعتبار مبدأ التدرج مع مراعاة الخصائص النمائية للمتعلمات والمتعلمين، يعتبره جوزيف بوث (Joseph Poth) كتابا « لتعلم مجزأ ومتدرج، بمقاطع زمنية يومية أو أسبوعية متمفصلة بعضها عن بعض ومبنية تبعا لقدرات الانتباه لدى الطفل.»[18]

يستخلص مما سبق أن الكتاب المدرسي كتاب ورقي يتضمن مجموعة من النصوص والصور والخرائط والتمارين التقويمية...موجهة إلى متعلمي مستوى معين بهدف المساهمة في تعلمهم وتحسين مكتسباتهم بشكل متدرج.

يخضع تأليف الكتب المدرسية إلى قيود تصاغ في دفتر تحملات وتتخذ شكل مواصفات كتلك الخاصة بتأليف وإنتاج كتاب اللغة العربية لمستوى الثانية إعدادي بالمغرب. نذكر منها:

- **«مواصفات خاصة بتسهيل استعمال الكتاب:**
  - احتواء الكتاب على إرشادات خاصة تيسر استعماله.
  - عرض التصميم العام في بداية كل جزء أو باب من الكتاب.
  - تقديم الكفايات المستهدفة، مع مراعاة الخصائص المطلوبة في صياغتها.
- **مواصفات خاصة بمحتوى الكتاب:**
  - توافق محتويات الكتاب مع الاختيارات والتوجهات التربوية.
  - مسايرة الكتاب التطور الحاصل في المجالات العلمية والتكنولوجية والتربوية.
  - مساهمة الكتاب في إنماء شخصية وطنية أصيلة ومراعاة الخصوصيات الجهوية والمحلية.
  - مراعاة المستوى العمري والمعرفي والعقلي واللغوي لفئات التلاميذ.
- **مواصفات فنية وتقنية:**
  - المقاس: ينبغي استعمال مقاس لا يقل عن 27×21.

- الورق: تحدد عدد صفحات الكتاب في 224 صفحة.
- الألوان: تستعمل في الطبع الداخلي للكتاب أربعة ألوان. ويعتبر إبراز التعريفات والقواعد بتلوينها ووضعها داخل إطار ضروريا.
- الحروف: تستعمل حروف مختلفة الأشكال والأحجام...وينبغي أن يكون حجم الحرف ملائما لمستوى التلميذ.
- ينبغي أن تكون الصور والرسوم والمبيانات:
  - منجزة بالطباعة الرباعية ومستوفية للمعايير الفنية المتعارف عليها، إلا إذا تعلق الأمر بوثيقة هي أصلا بلون واحد فتطبع وفق أصلها.
  - خالية من أي رمز أو علامة أو غيرها من شأنها أن تمس بالمقدسات الدينية والوطنية...
  - خالية من الإشهار المقصود لفائدة أي منتوج أو مؤسسة معينة.
- الغلاف: يراعى في الغلاف أن يكون جذابا وملائما للمستوى الدراسي والمادة.
- المؤلفون: ينبغي أن تثبت أسماء وصفات المؤلفين في الصفحة الأولى من الكتاب.
- التجميع: تعتمد الخياطة بثلاث غرز على الأقل في تجميع هذا الكتاب.» [19]

4. الصورة:

تُعتبر الصورة أحد المعينات الديداكتيكية الحاضرة في مجال التدريس وهي حسب جاك أمون (Jack Amon) «شكل من أشكال الفنون الذي ينقل واقعا ما، أو يبتكر مشهدا من نسج الخيال، انطلاقا من واقع ملموس».[20] وهي تحتل مكانة مهمة بالنظر إلى وظائفها المتعددة وإلى الحمولات الدلالية التي تحتوي عليها مما يجعلها تفرض خطابا خاصا بها. يقول عبد العالي معزوز: « عرفت الصورة مآلا ومصيرا مذهلا في الزمن المعاصر، وبدأت تتبوأ مكانة رفيعة، وتستقل تدريجيا بذاتها، وتنفرد بمعجمها الخاص، وتؤسس لغتها الخاصة بمعزل عن الخطاب.»[21]

ولجت الصورة حقل التعليم من أبوابه الواسعة وتم توظيفها كوسيط تعليمي لا غنى عنه، كما ضمنت مكانا لها داخل الكتب المدرسية. وقد تم اعتماد منهجيات في تحليلها تتلاءم والبنية الفكرية للتلاميذ حسب كل مرحلة دراسية، ففي السنة الثانية ثانوي إعدادي مثلا يتم تعامل التلاميذ مع الصورة وفق الآتي:

- «**وصف الصورة**: وذلك من خلال التعرف على بعض جوانبها:
  - نوعها: صورة فوتوغرافية، لوحة فنية، صورة إشهارية...
  - موضوعها: اجتماعي، سكاني، اقتصادي، فني...
  - فضاؤها والعناصر المكونة له.
  - وصف شخصية الصورة: تحديد سماتها الجسدية، جنسها وهيئتها.

- **تحليل الصورة:** ويتم فيه الإجابة عن الأسئلة التالية:

من المستهدف من الصورة؟ ما الغرض منها؟ وما أساليب الإقناع المستعملة؟ (الإشارات، الإيحاءات..)

وبعد هذا يأتي تعبير التلميذ(ة) عن وجهة نظره/ نظرها...»[22]

ثانيا: الدراسة التطبيقية

1. ورقة تعريفية بالكتب المدرسية

في إطار تنويع العرض التربوي، وسعيا منها نحو ضمان تكافؤ الفرص التعليمية؛ اعتمدت الوزارة الوصية على التعليم خيار الكتب المدرسية المتعددة وخصصت ثلاثة كتب للغة العربية بالنسبة لمستوى الثانية ثانوي إعدادي.

اسم الكتاب	تأليف	الناشر	سنة الطبع	عدد الصفحات
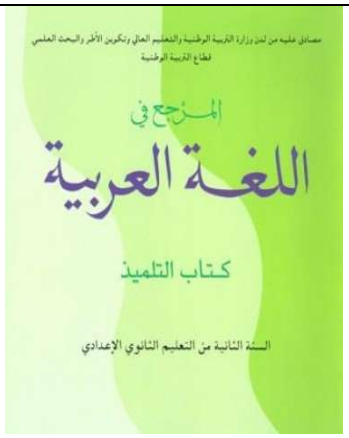	مصطفى عسو (منسق الفريق) أحمد بنتونسي محمد وراش محمد الفيد محمد الصبحي ميلود بوكزال عبد الله الموحسيني	الدار المغربية للكتاب، الدار البيضاء	2013	224
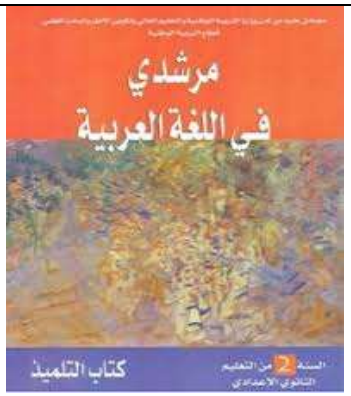	عبد اللطيف الفاربي (منسق الفريق) محمد الربيحي محمد بنعزوز محمد الخمسي إبراهيم عيشو محمد بوشامة مصطفى الريمي	أفريقيا الشرق	2018	224

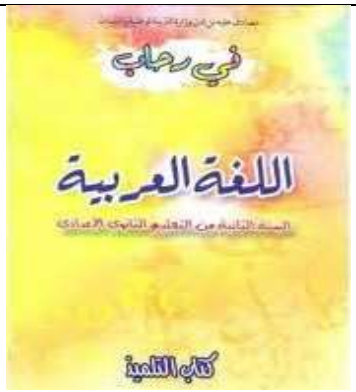	عبد الغاني عارف (منسق الفريق) مولاي عمر البداوي فاطمة حسيني محمد جرير محمد مكسي محمد البرهمي محمد أولحاج	مطبعة صناعة الكتاب	2017	224

2. حصيص التراث الشعبي المغربي من الصور

جدول 1: حظ التراث الشعبي المغربي من الصور

	مجموع الصور	الصور الدالة على التراث الشعبي المغربي	
		عددها	النسبة المئوية
المرجع في اللغة العربية	86	28	%32,56
مرشدي في اللغة العربية	111	38	%34,23
في رحاب اللغة العربية	149	64	%42,95
المعدل			%36,58

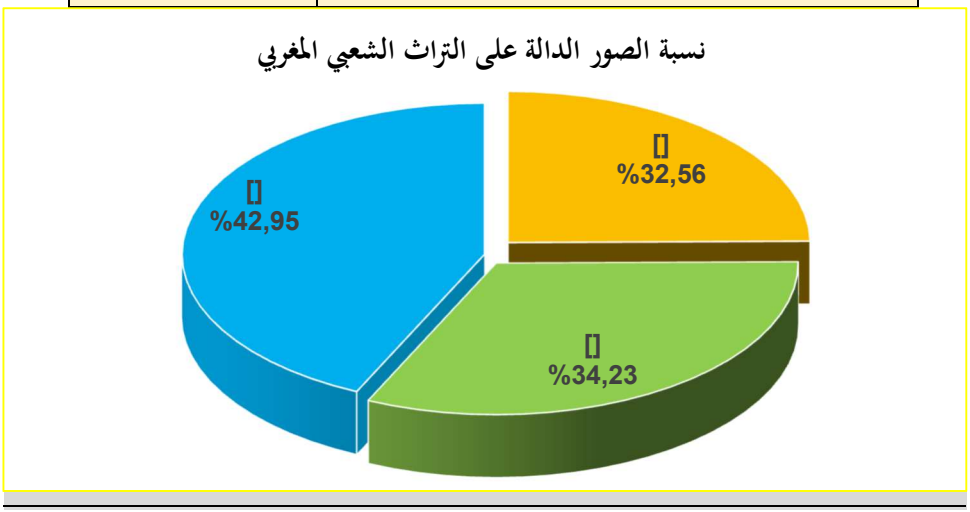

كما هو معلوم يتم توظيف الصورة في الكتاب المدرسي كوسيلة تعليمية مهمة تحضر جنبا إلى جنب مع النصوص من أجل جذب انتباه المتلقي لمضامين ورسائل يراد تبليغها بشكل مباشر أو غير مباشر إضافة إلى مساهمتها في تيسير الإيضاح والفهم.

تنوعت المواضيع التي تطرحها الصور واختلفت نسب حضورها من مجال إلى آخر. وقد نال التراث الشعبي المغربي نصيبا منها فاق الثلث إجمالا، ذلك أن معدل تغطية الكتب الثلاثة للصور الدالة على هذا التراث بلغ 36,58%. وهي نسبة مهمة لا تدع مجالا للشك حول المكانة التي ينالها هذا التراث داخل السياسة التربوية للمغرب والتي تستحضر بالطبع ما هو اجتماعي وثقافي وسياسي...

إن هذه التغطية للتراث الشعبي المغربي تنسجم وفلسفة البلاد في مجال التعليم، فإلى جانب الإسلام الدين المعتمد والملكية الدستورية النظام المتبع في الحكم، نجد التراث الشعبي المغربي حاضرا كأحد الركائز الأساسية للمنظومة التعليمية التي تستوجب التعريف بها والمحافظة عليها باستمرار مع الحرص على جعلها مسايرة للمستجدات. يؤكد ذلك ما ورد في الميثاق الوطني للتربية والتكوين: «يتأصل النظام التربوي في التراث الحضاري والثقافي للبلاد، بتنوع روافده الجهوية المتفاعلة والمتكاملة؛ ويستهدف حفظ هذا التراث وتجديده، وضمان الإشعاع المتواصل به لما يحمله من قيم خلقية وثقافية .»[23]

بالمقابل عند عقد مقارنة بين الكتب المدرسية من حيث عدد الصور الموظفة يتضح إلينا وجود فرق شاسع بينها بلغ 63 صورة بشكل عام و36 صورة تهم التراث الشعبي المغربي. إضافة إلى ذلك عرفت نسب حضور هذا التراث إلى جانب باقي المواضيع تباينا بين أول الكتب "في رحاب اللغة العربية" (42.95%) وآخرها "المرجع في اللغة العربية" (32.55%). بينما تقارب هذا الأخير وكتاب "مرشدي في اللغة العربية" (34.23%). لذلك لا يسعنا أمام هذا البون الشاسع إلا أن نسلط الضوء على ضرورة الالتزام – ما أمكن– بالتوازن العددي في توظيف الصور المعتمدة لتغطية موضوع معين، وذلك لضمان تكافؤ الفرص لفائدة لتلميذات والتلاميذ. فمن المؤكد أن هذا الفرق الواضح بين الصور سواء في عمومها أو التي تفيد موضوعنا سيغني معارف البعض ويحرم آخرين من نفس العرض المقدم، ليبقى الأمر رهينا بالكتاب المدرسي المعتمد. بالموازاة مع ذلك يظل التوظيف المتوازن للصور أمرا ممكنا خاصة أن هناك تقاربا كبيرا بين كتابين، كما أن دفتر التحملات المتعلق بتأليف وإنتاج الكتب المدرسية يشترط أن تتسم صفحات الكتاب المدرسي بـ «التوازن والتناسق بين النصوص وأحجام الحروف، وكذلك بين مختلف الفقرات، وبين الرسوم والصور والمبيانات»[24].

أ.صور التراث الشعبي المغربي حسب استئثار الموضوع

صورة خاصة

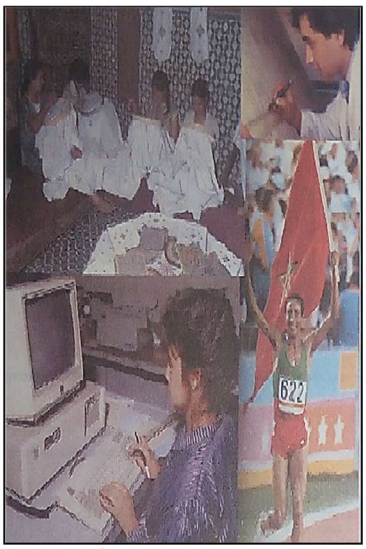

صورة مختلطة

لا شك أن انفراد الصورة بموضوع دون غيره يساهم بشكل كبير في توجيه انتباه المتعلم(ة) إلى فحوى الخطاب الذي تحمله إذ «يؤدي تقليل عدد المنبهات المحيطة بالفرد إلى تسهيل إدراكه لهذه المنبهات وإلى زيادة قدرته (الظاهرة) على فهمها واستيعابها» [25] لهذا كان لزاما علينا البحث في أهمية الصور باعتماد هذا المعيار، أي التمييز بين الصور الخاصة التي تدل فقط على موضوع دراستنا والصور المختلطة التي ورد فيها ما يدل على التراث الشعبي المغربي بمعية مواضيع أخرى.

جدول 2: صور التراث الشعبي المغربي الخاصة والمختلطة

	مجموع الصور	الصور الخاصة	ن. م %	الصور المختلطة	ن. م %
المرجع في اللغة العربية	28	20	%71,43	8	%28,57
مرشدي في اللغة العربية	38	31	%81,58	7	%18,42
في رحاب اللغة العربية	64	62	%96,88	2	%3,12

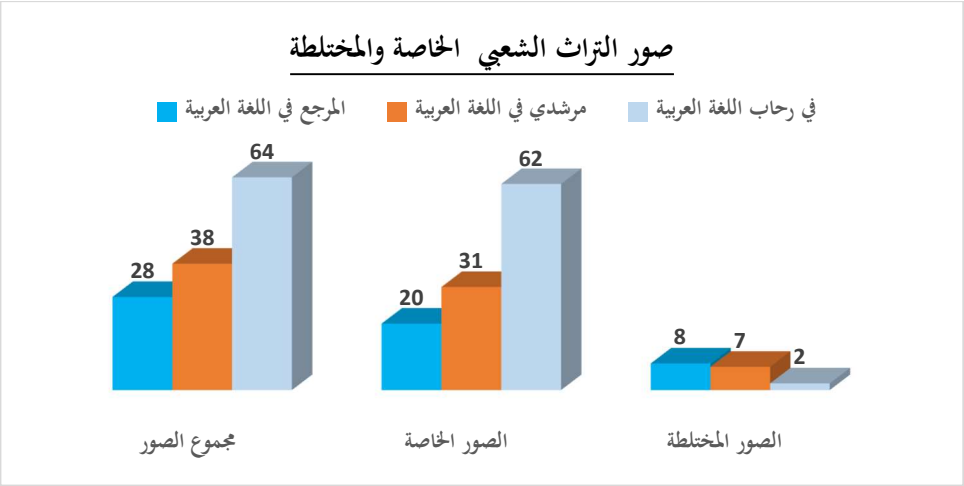

عرفت الكتب المدرسية تباينا من حيث حضور الصور الخاصة والمختلطة. وحظي كتاب " في رحاب اللغة العربية " بالنسبة الأعلى 96,88% بمجموع 62 صورة خاصة مقابل صورتين مختلطتين (3,12%) يليه كتاب " مرشدي في اللغة العربية " الذي ضم 31 صورة خاصة (81,58%) مقابل سبع صور مختلطة (18,42%)، فكتاب "المرجع في اللغة العربية " الذي اشتمل على عشرين صورة خاصة (71,43%) مقابل ثمان صور مختلطة (28,57%).

يتضح من خلال الجدول رقم 2 الاعتماد الكبير على الصور التي تتطرق بشكل حصري للتراث الشعبي المغربي. يترجم ذلك التوظيف الجلي للصور الخاصة بالموضوع على حساب الصور المختلطة، إذ بلغت النسبة الإجمالية للصور الخاصة 83.30% مقابل 16.70% للصور المختلطة. وهذا دليل قاطع على القيمة التي يحظى بها التراث الشعبي المغربي داخل المنهاج الدراسي من خلال اختيار خطاب بصري يشد انتباه المتعلم(ة) للموضوع بعيد عن كل تشويش.

وفي سياق حديثنا عن توظيف الصور المركزة على موضوع التراث الشعبي المغربي، نعود من جديد لنطرح إمكانية التوازن أو التقارب من حيث العدد المعتمد، فالنتائج أظهرت أن هناك تباعدا كبيرا بين كتابين بنسبة فرق بلغت 25.45 %. مما يدعو إلى إعادة النظر في هذا الأمر ضمانا لتقديم محتوى بصري متكافئ للجميع.

أ. **الصور الدالة على التراث الشعبي حسب معيار الحجم**

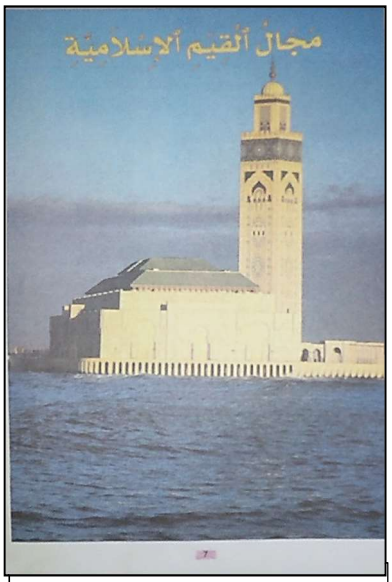

صورة كبيرة الحجم

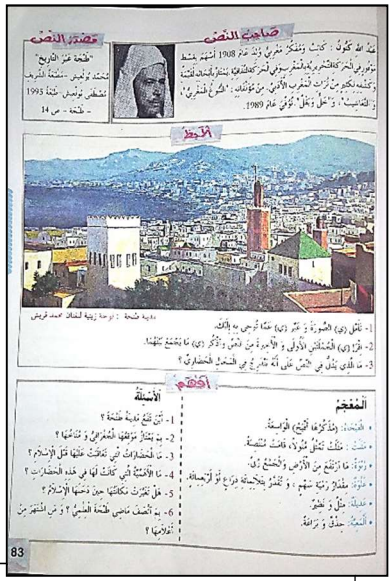

صورة متوسطة الحجم وأخرى صغيرة

إلى جانب التركيز على موضوع معين ووضوح الصورة والألوان، يعد معيار الحجم من العوامل التي تزيد من أهمية الصورة، فـ«تخصيص مساحة كبيرة لصورة يمثل أهمية خاصة ومن شأنه أن يساعد الصورة على أداء وظيفتها في التأثير على القارئ».[26] لذلك نرى أنه من الواجب مساءلة الصور من هذه الزاوية لنرى مدى أهميتها.

جدول 3: صور التراث الشعبي المغربي حسب الحجم

	مجموع صور الكتب	صور التراث الشعبي المغربي	
		العدد	ن م %
الصور كبيرة الحجم	13	10	%76,92
الصور متوسطة الحجم	59	29	%49,15
الصور صغيرة الحجم	274	91	%33,21

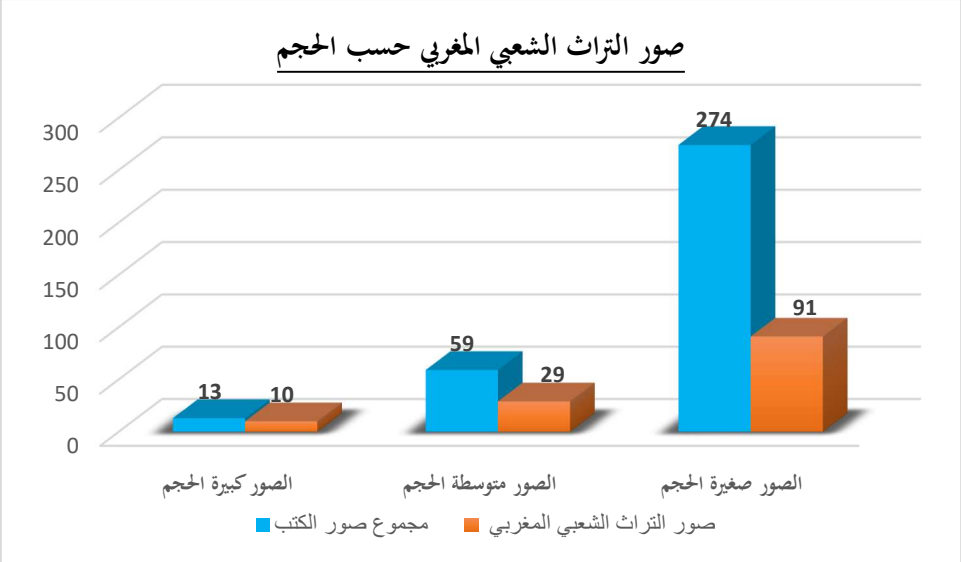

ب. معيار الحجم حسب كل كتاب مدرسي

جدول 4: توزيع الصور حسب الحجم: كتاب المرجع في اللغة العربية

	مجموع الصور	العدد	ن م %
الصور كبيرة الحجم	5	4	%80,00
الصور متوسطة الحجم	31	17	%54,84
الصور صغيرة الحجم	50	7	%14,00

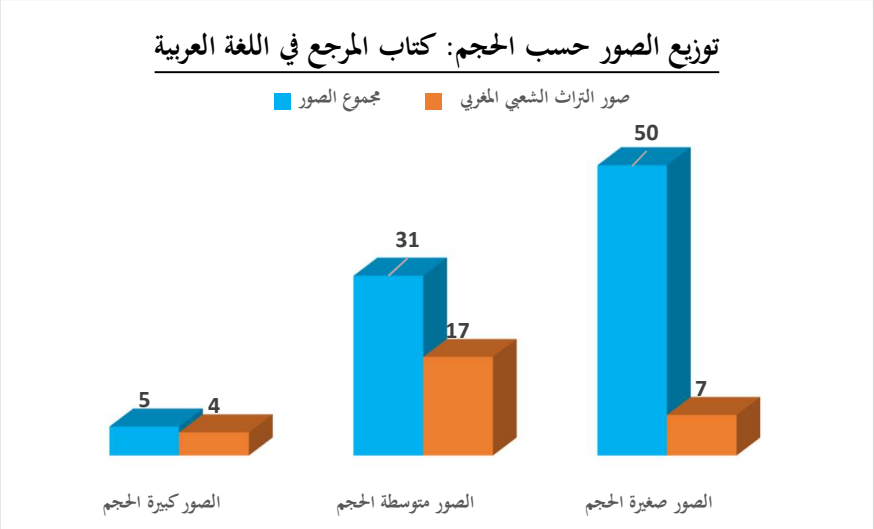

جدول 5: توزيع الصور حسب الحجم: كتاب مرشدي في اللغة العربية

	مجموع الصور	صور التراث الشعبي المغربي	
		العدد	ن م %
الصور كبيرة الحجم	5	4	%80,00
الصور متوسطة الحجم	14	5	%35,71
الصور صغيرة الحجم	92	29	%31,52

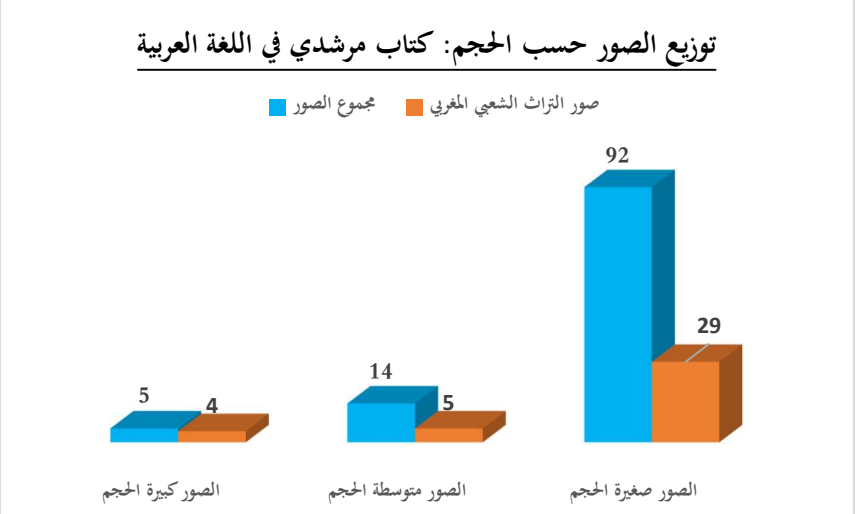

جدول 6: توزيع الصور حسب الحجم: كتاب في رحاب اللغة العربية

	مجموع الصور	صور التراث الشعبي المغربي	
		العدد	ن م %
الصور كبيرة الحجم	3	2	%66,67
الصور متوسطة الحجم	14	7	%50,00
الصور صغيرة الحجم	132	55	%41,67

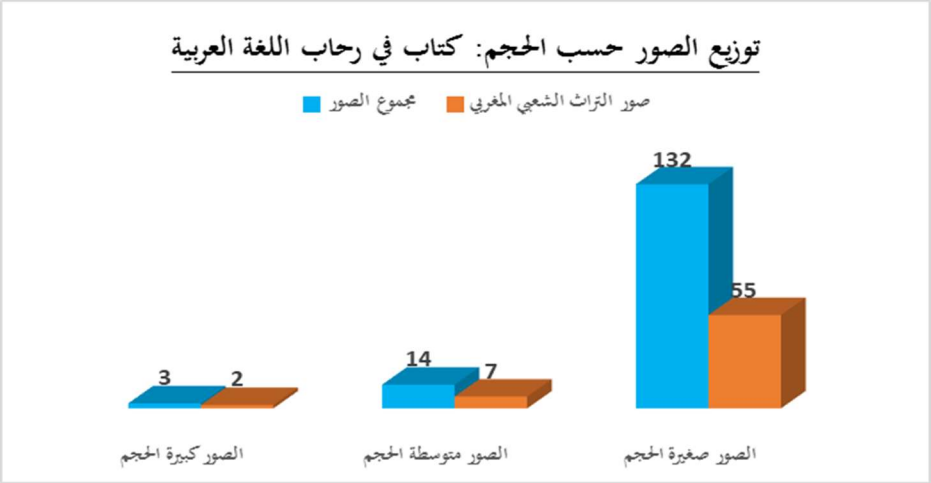

تنوعت صور الكتب المدرسية واتخذت أحجاما مختلفة، منها كبيرة تغطي الصفحة بكاملها أو جزءا كبيرا منها اعتُمدت عموما كمداخل للمجالات تهيئ المتعلمين بصريا للمحاور المبرمجة. ومنها صور متوسطة وظفت إلى جانب النصوص القرائية كوسيط ديداكتيكي للإيضاح. ثم صغيرة استُعملت في الغالب للتعريف بالأعلام خاصة مؤلفي النصوص القرائية.

على العموم حازت الصور كبيرة الحجم، والتي تهم موضوع دراستنا، على أكثر من الثلثين (76.92%)، حيث غطت صفحات الكتب المدرسية 10 صور من أصل 13. مما يعزز القول بأهمية التراث الشعبي المغربي ضمن مواضيع هذه الكتب. يزكي ذلك تمثيلية الصور متوسطة الحجم التي ناهزت النصف (49.15%). أما الصور صغيرة الحجم فقد نالت الثلث.

انطلاقا من الجداول 4 و5 و6 يتضح أن الصور كبيرة الحجم بكتابي "مرشدي في اللغة العربية" و"المرجع في اللغة العربية" قد غطت أربع صفحات كاملة من أصل خمسة. مقابل صورتين من أصل ثلاثة في كتاب "في رحاب اللغة العربية". وباستثناء الكتاب الأول الذي غطت صوره المتوسطة 35,71%، فقد نالت الصور من هذا الصنف في الكتابين الآخرين نصف الحصيص أو تجاوزته بقليل.

تؤكد المساحة المخصصة للتراث الشعبي المغربي أهميته ضمن المواضيع المنتقاة بالكتب المدرسية. كما تبين المعطيات المتوفرة بين أيدينا أن هناك تساو بين كتابين من حيث الصور كبيرة الحجم، وتقارب بين آخرين من حيث الصور المتوسطة. مقابل اختلاف على مستوى تخصيص الصورة بموضوعنا. مما يؤيد رأينا القائل بضرورة ضبط استعمال الصور وفق معايير معينة كالانفراد بالموضوع والحجم... خاصة أن هناك إمكانية لتحديد سقف اختلاف تمثيليتها كمًّا داخل صفحات الكتب المدرسية.

1. حظ عناصر التراث الشعبي المغربي من التراث الإنساني

يحمل التراث الشعبي بصمات السابقين المادية واللامادية المنتقلة عبر الأجيال مشكلة بقايا الماضي في الحاضر.

جدول 7: عناصر التراث الشعبي المغربي في الصور

عناصر التراث الشعبي	مجموع التراث الإنساني	صور التراث الشعبي المغربي	
		العدد	ن م %
المعتقدات والمعارف الشعبية	49	26	53,06%
العادات والتقاليد الشعبية	13	9	69,23%
الأدب الشعبي	0	0	0,00%
الفنون الشعبية	48	39	81,25%
التراث المادي	353	151	42,78%
المعدل			48,60%

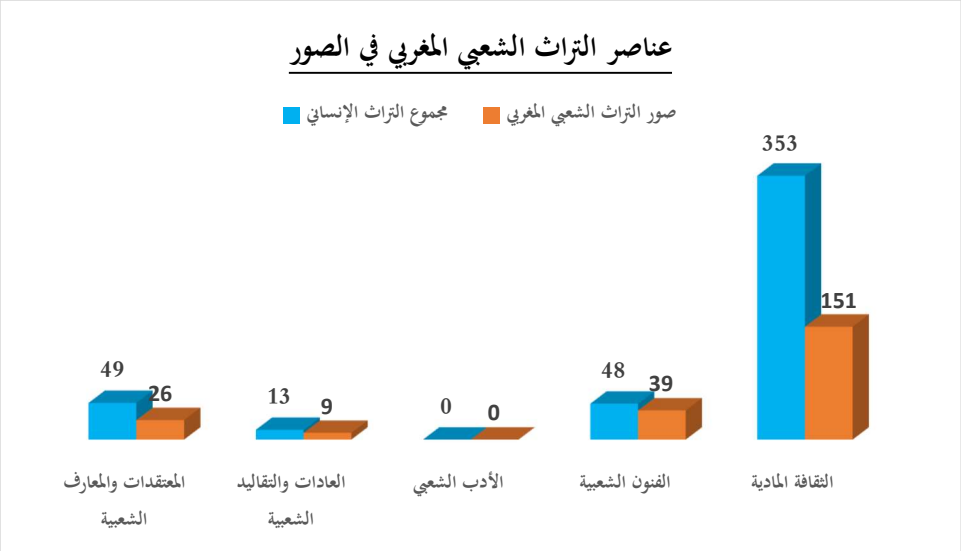

جدول 8: توزيع العناصر التراثية: كتاب المرجع في اللغة العربية

عناصر التراث الشعبي	مجموع العناصر التراثية	صور التراث الشعبي المغربي	
		العدد	ن م %
المعتقدات والمعارف الشعبية	13	5	38,46%
العادات والتقاليد الشعبية	6	4	66,67%
الأدب الشعبي	0	0	0,00%
الفنون الشعبية	7	6	85,71%
التراث المادي	96	37	38,54%
المعدل			42,62%

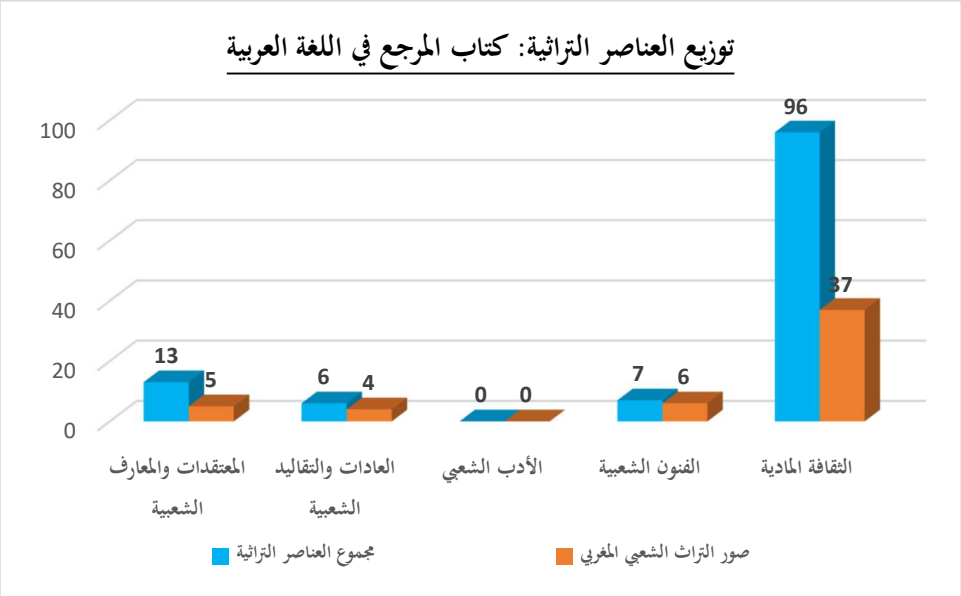

جدول 9: توزيع العناصر التراثية: كتاب مرشدي في اللغة العربية

عناصر التراث الشعبي	مجموع العناصر التراثية	صور التراث الشعبي المغربي	
		العدد	ن م %
المعتقدات والمعارف الشعبية	16	5	31,25%
العادات والتقاليد الشعبية	6	5	83,33%
الأدب الشعبي	0	0	0,00%
الفنون الشعبية	19	15	78,95%
التراث المادي	115	48	41,74%
المعدل			46,79%

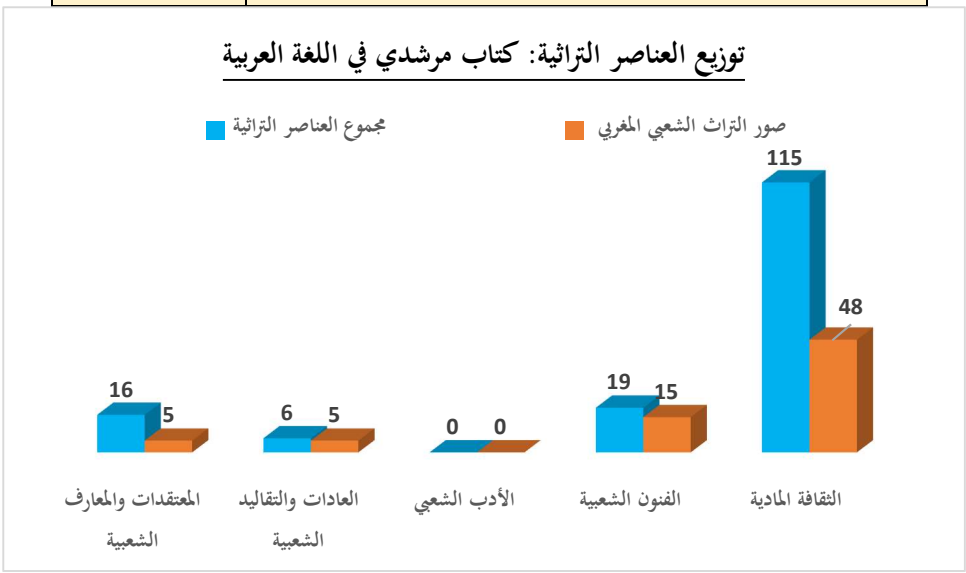

جدول 10: توزيع العناصر التراثية: كتاب في رحاب اللغة العربية

عناصر التراث الشعبي	مجموع العناصر التراثية	صور التراث الشعبي المغربي	
		العدد	ن م %
المعتقدات والمعارف الشعبية	20	16	80,00%
العادات والتقاليد الشعبية	1	0	0,00%
الأدب الشعبي	0	0	0,00%
الفنون الشعبية	22	18	81,82%
التراث المادي	142	66	46,48%
المعدل			**54,05%**

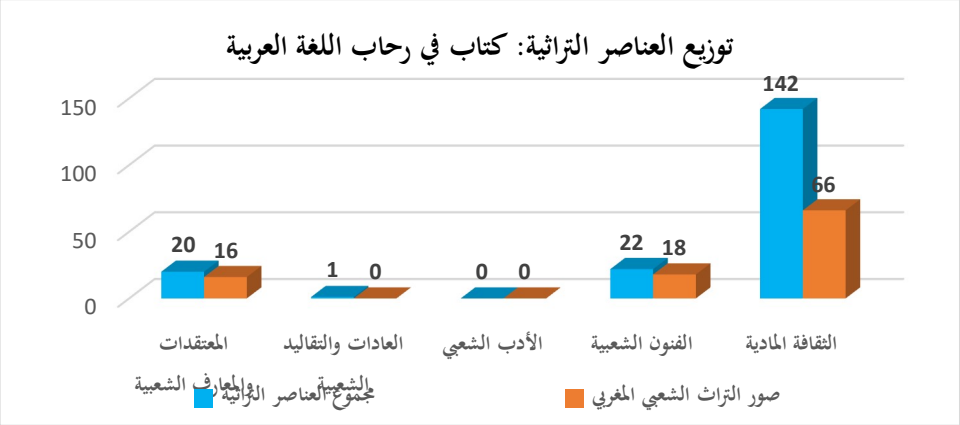

قدمت صور الكتب المدرسية طبقا متنوعا يتسع إلى عناصر التراث الشعبي الإنساني النابعة من فيض الثقافة الشعبية. وظفر التراث الشعبي المغربي منها بنسبة مرضية بلغ معدلها الإجمالي 48.60 %. وقد احتضنت الصورة الواحدة في بعض الأحيان مجموعة من العناصر.

إجمالا يتضح من خلال الإحصائيات المتوصل إليها أن حظ التراث الشعبي المغربي من التراث الإنساني قد قارب النصف. وبذلك يتجلى إلينا بالملموس أنه كلما تقدمنا في دراستنا إلا وزاد تأكدنا من الأهمية التي يحظى بها التراث الشعبي المغربي لدى القائمين على اختيار المناهج الدراسية.

من جهة أخرى غلب على توزيع عناصر التراث الشعبي المغربي طابع اللاتوازن، مع تسجيل حضور قوي للفنون الشعبية (81.25%)، تليها العادات والتقاليد الشعبية (69.23%)، ثم المعتقدات والمعارف الشعبية (53.06%)، وأخيرا التراث المادي (42.78%). واشتركت الكتب المدرسية في التغييب التام للأدب الشعبي المغربي. وبالنظر إلى كل كتاب على حدة فقد كانت الحصة الأوفر من نصيب كتاب " في رحاب اللغة العربية"(54.05%)، لكنه بدوره أغفل العادات والتقاليد الشعبية.

تبين الطبيعة التي انتشرت بها عناصر التراث الشعبي المغربي بالكتب المدرسية أن التوزيع لم يكن مبنيا على معايير مضبوطة تراعي التوجيهات التي يتضمنها دفتر التحملات الخاص بتأليف الكتب المدرسية. نجم عن ذلك تقديم صور يختلف حصيص عناصرها التراثية من كتاب لآخر، مع إغفال تام للأدب الشعبي المغربي وحرمان المتعلم(ة) من الاطلاع عبر خطاب بصري على صنف من التراث الشعبي غني بحكاياته وسيره وأساطيره وألغازه...وهو في نفس الآن حرمان من إغناء المعارف وبناء اتجاهات وقيم. مع أن المجال كان متاحا لذلك في مجموعة من الفرص، على سبيل المثال فن الحلقة الحاضر في كل الكتب المدرسية والذي يسمح بتوظيف صورة لحلقة بساحة "جامع الفْنا" يتوسطها أحد رموز الحكاية الشعبية كالحكواتي المعروف عبد الرحيم المقوري الملقب بـ"الأَزْلِيَة"، أو صورة مذيلة بعنوان من قبيل: حلقة الحكواتي... ليُستثمر ذلك في استخراج تمثلات التلميذات والتلاميذ حول ما يقدم في الحلقة من حكايات وألغاز وسير...أو يكون منطلقا لتقديم حكاية شعبية أو البحث عنها في إطار الواجبات خارج الفصل. كل ذلك وغيره سيمكن من التعريف بهذا الصنف من الأدب.

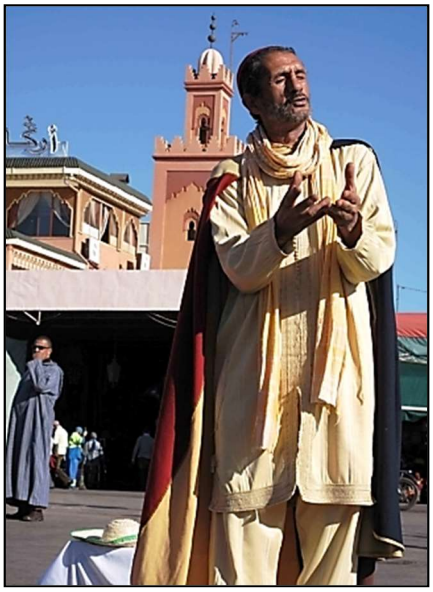

الحكواتي عبد الرحيم المقوري

(هاسبريس،2019، أوريان والأزلية يسردان حكايات ألف ليلة وليلة بحي المواسين مراكش، تم الاسترجاع من الرابطhttp://www.haspresse.com/?p=27243#prettyPhoto)

أ.التراث المادي

لباس أمازيغي

المعمار

أدوات

أمكنت صور الكتب المدرسية التلميذات والتلاميذ من الاطلاع على أصناف عديدة من التراث المادي، همت بالأساس اللباس وبعض الأدوات والمعمار. مما أتاح لهم فرصة التعرف على تراث مادي يهم مختلف المكونات الثقافية المغربية:

- **اللباس:**

يعد اللباس التقليدي المغربي من أهم ما عبرت عنه الصور. وقد تمظهر ذلك في أغطية الرأس كالطربوش والطاقية والعمامة التقليدية "الزَّزّة"، والجلابيب الرجالية والنسائية، "الدَّرّاعِيَّة" و"المِلْحاف" الصحراويين، والقفطان الخاص بالجنسين. زد على ذلك السراويل الرجالية الفضفاضة...كما عبرت الصور عن بعض أدوات الزينة الخاصة بالنساء الأمازيغيات مثل:

- "تاسْبِيْنْتْ": غطاء للرأس مزركش.
- "تاسْديتْ": قلادة من الفضة مزينة بالنقود القديمة.
- "تاوْنْزا": خيط تضعه المرأة على جبينها به قطع معدنية خاصة الفضية منها.

- **الأدوات:**

عبرت صور الكتب المدرسية عن العديد من الأدوات التقليدية منها ما ارتبط بالاستعمالات الاعتيادية كالصينية النحاسية الخاصة بإعداد الشاي والأواني المصاحبة لها وبعض أنواع الأواني الخزفية، بالإضافة إلى السلة القصبية وسرج الجمل المصنوع من الجلد(الراحْلَة). كذلك الخيام اليدوية المصنوعة من الصوف والمثبتة على ركائز خشبية (الخَيْمَة) والخيام المستعملة في الأسواق (القَيْطونْ)...إلى جانب ذلك فقد تم تسليط الضوء على أدوات لها علاقة ببعض الحرف والأنشطة التقليدية كالكأس والحنفية النحاسيين الخاصين بالسقاء (الكَرّابْ)، ومراكب الصيد التقليدي. ومواد البناء التقليدية مثل: الطين، الخشب، الحجر، الزليج. إضافة إلى المنسج ودولاب صنع الأواني الفخارية...

دلت الصور كذلك على بعض الأدوات المتصلة بالفنون الشعبية مثل الدف (البْنْدير)، والخنجر وحزامه، والطبل، و(الكْدْرَة) الصحراوية، وبندقية البارود الخاصة بالفروسية (المكَحْلَة)...

- **المعمار:**

تطرقت الصور إلى معالم متنوعة من المعمار المغربي الأصيل، منها ما هو ديني كمسجد الكُتُبِية ومسجد الحسن الثاني. أفصحت هذه البنايات عن عناصر معمارية وزخارف غاية في الجمال، زينت بها الصوامع والسقايات والأبواب الخشبية والأقواس...إلى جانب ذلك فقد حضر المعمار المدني من خلال الأبنية التقليدية المعتمدة على أدوات أولية كالطين والحجر وبعض الأبنية الصحراوية الممتدة حول الواحات...كما تجسد المعمار العسكري في القلاع كلقعة ورزازات بأبراجها، وأبواب المدن والأسوار...

رغبة في انفتاح المتعلم(ة) على باقي الثقافات، جاورت التراث الشعبي المغربي ألوان تراثية تهم ثقافات أخرى، تجسدت أساسا في الشق المادي من خلال اللباس والمعمار الديني. هذا الأخير الذي مثلته صور الكعبة المشرفة وقبة الصخرة بالقدس، إضافة إلى بعض المساجد العربية كمسجد القيروان ومدارس دينية كمدرسة برقوق بمصر. في حين هيمن اللباس التقليدي المصري ممثلا بالجلباب الرجالي والطربوش والعمامة...بالإضافة إلى غطاء الرأس الفرعوني للجنسين.

- **التراث اللامادي**

صناعة الخزف

عادة الفاتْحَة

فن الحلقة

- **الفنون:**

ازدانت الكتب المدرسية بأصناف عديدة من الفنون الشعبية الموروثة، تجلت أساسا في فن الحلقة وفن الفروسية التقليدية "التّْبوريدَة" وفن "أحواش" الأمازيغي وفن "الكْدْرَة" الصحراوي. كما أميط اللثام عن جوانب فنية متنوعة أبدعتها أنامل الصانع التقليدي المغربي كالزخرفة الخطية والهندسية وفن الطرز على الثوب، والنقش على الخشب وعلى النحاس، وعلى الزليج البلدي...

- **العادات والتقاليد الشعبية:**

أشارت الصور إلى عادات وتقاليد مغربية اجتماعية واقتصادية ودينية، كعادة حضور حلق الذكر والسوق الأسبوعي القروي، والسوق الشعبي اليومي بالمدن. كما تطرقت إلى بعض المواسم كموسم الخطوبة "إمِلْشيلْ" الغني بالعادات والتقاليد المرتبطة باللباس وبمظاهر الاحتفال. سلطت الصور الضوء كذلك على جانب من عادات الزواج التي عبر عنها يوم الحناء في العرس الفاسي وما يرافقه من طقوس تهم لباس العروس والأدوات المستعملة. تمت الإشارة أيضا إلى إحدى العادات المتصلة باللباس الرجالي، خاصة في مناطق الأطلس المتوسط المعروفة ببرودة الطقس، تتمثل هذه العادة في ارتداء جلبابين الداخلي منهما فاتح اللون ويكون في الغالب أبيض والخارجي داكن.

تخللت الصور كذلك مشاهد لعادة شرب الشاي والتحلق حول الساقي المحاط بالأواني الخاصة بهذا الطقس: الإبريق (البَراد)، والصينية النحاسية ذات الأربع أرجل، وأواني السكر والشاي والنعناع المسماة "القْنايْقْ".

- **المعتقدات والمعارف الشعبية:**

أشارت الصور إلى بعض المعتقدات الشعبية كبركة "الفاتْحَة"، ويستدل بها برفع اليدين للتأمين بعد الداعي. يرتبط هذا الطقس والاعتقاد باستجابة الدعاء وقضاء الحاجات الخاصة والعامة، كما يرافقه أحيانا تقديم أجر ولو بسيط للداعي تبركا بهذا الأخير وجزاء له على الدعاء للشخص المانح.

دلت الصور كذلك على مجموعة من الحرف التقليدية الشاهدة على خبرات ومعارف شعبية مازالت حاضرة إلى يومنا هذا منها: الصيد التقليدي، والنجارة، وصناعة الفخار، والطرز، والتجارة بالأسواق، والبناء، وصناعة الزليج، وصناعة النسيج التقليدية، والنقش على الجبس...

على العموم، اغتنت الصور بغنى التراث الشعبي المغربي المادي واللامادي، وانتشرت بين طيات الكتب المدرسية مشكلة فسيفساء من المعتقدات والعادات والتقاليد والفنون الشعبية، ومعالم المعمار الأصيل وألوان من اللباس التقليدي... غطت هذه العناصر أهم روافد الثقافة المغربية: العربي والأمازيغي والحساني. وهذا يفتح المجال واسعا للتلاميذ للتقرب من هذا التراث وإغناء معارفهم والتشبث بهويتهم. لكن دون الانعزال عن باقي الثقافات الأخرى، يتمظهر ذلك في توظيف الكتب المدرسية صورا لثقافات أخرى.

بالمقابل اتسم حضور هذه العناصر بالتقارب حينا والتباعد حينا آخر، كما تم تسجيل غياب تام للأدب الشعبي. وقد اتسع الفرق بين الصور الدالة على المعتقدات والمعارف الشعبية ليصل إلى 48.75 % بين كتابي "مرشدي في اللغة العربية" و"في رحاب اللغة العربية". في حين لم يتعد الفارق بينهما في الفنون الشعبية سوى 2.87 %. أما التراث المادي فقد انتشر داخل صفحات الكتب الثلاثة بشكل شبه متوازن.

تؤكد الإحصائيات إمكانية التحكم في سقف تمثيلية كل عنصر تراثي بهدف تحقيق توازن بين الكتب الثلاثة وإتاحة الفرصة بشكل متكافئ لجميع التلميذات والتلاميذ للاطلاع على بعض خبايا هذا التراث.

2. حضور مكونات الثقافة الشعبية المغربية في الكتب المدرسية

أ. توزيع مكونات الثقافة الشعبية المغربية

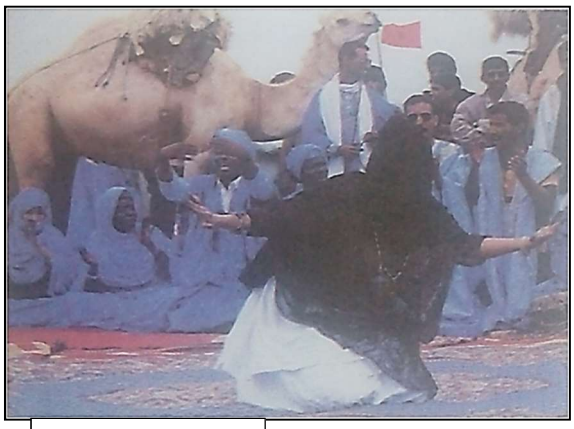

المكون الحساني

المكون الأمازيغي

المكون العربي

تنهل الثقافة الشعبية المغربية من ثلاثة روافد أساسية: المكون العربي والمكون الأمازيغي والمكون الحساني. تتكامل هذه المكونات فيما بينها في إطار ثقافة مغربية شاملة تضم المشترك مع الحفاظ على الخصوصية. يقول الدستور المغربي: «المملكة المغربية دولة إسلامية ذات سيادة كاملة، متشبثة بوحدتها الترابية وبصيانة تلاحم وتنوع مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية، الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية »[27]

جدول 11: توزيع مكونات الثقافة الشعبية المغربية

مكونات الثقافة الشعبية المغربية	العدد	ن م %
المكون العربي	21	42,00%
المكون الأمازيغي	18	36,00%
المكون الحساني	11	22,00%

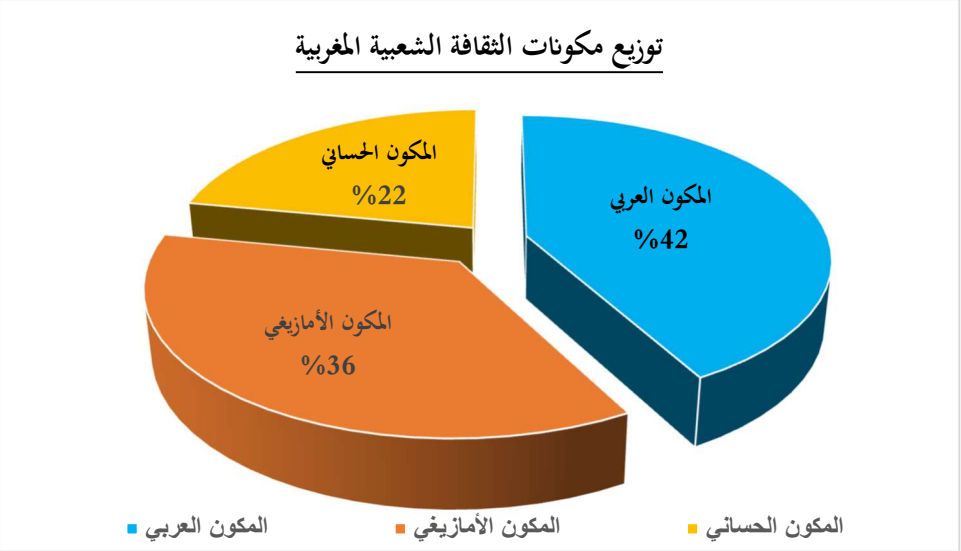

احتضنت صفحات الكتب المدرسية خمسين صورة دالة على المزيج الثقافي المغربي بمختلف مكوناته. وعرف توزيعها تفاوتا حظي فيه المكون العربي بنسبة حضور أعلى (42 %)، ثم المكون الأمازيغي (36%)، فالمكون الحساني (22 %).

ب. المكونات الثقافية الواردة في الصور حسب كل كتاب مدرسي

جدول 12: مكونات الثقافة الشعبية المغربية حسب كل كتاب مدرسي

	مرشدي في اللغة العربية		المرجع في اللغة العربية		في رحاب اللغة العربية	
مكونات الثقافة الشعبية المغربية	العدد	ن م %	العدد	ن م %	العدد	ن م %
المكون العربي	8	50,00%	8	42,11%	5	33.33%
المكون الأمازيغي	6	37,50%	10	52,63%	2	13,33%
المكون الحساني	2	12,50%	1	5,26%	8	53,33%
المجموع	16	-	19	-	15	-

توزيع مكونات الثقافة الشعبية المغربية: مرشدي في اللغة العربية

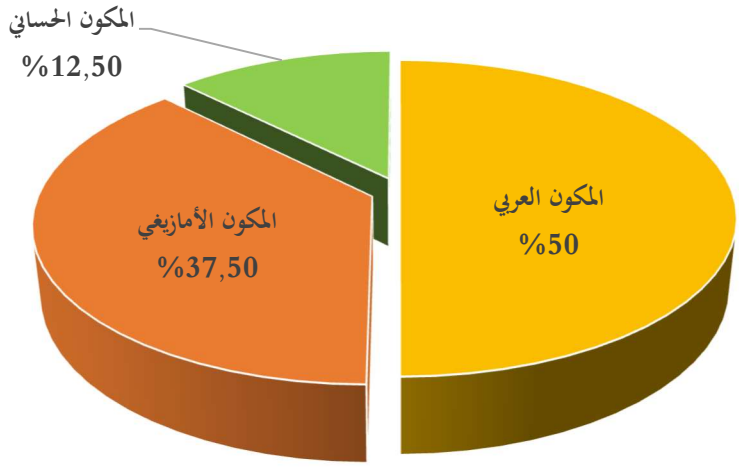

توزيع مكونات الثقافة الشعبية المغربية: المرجع في اللغة العربية

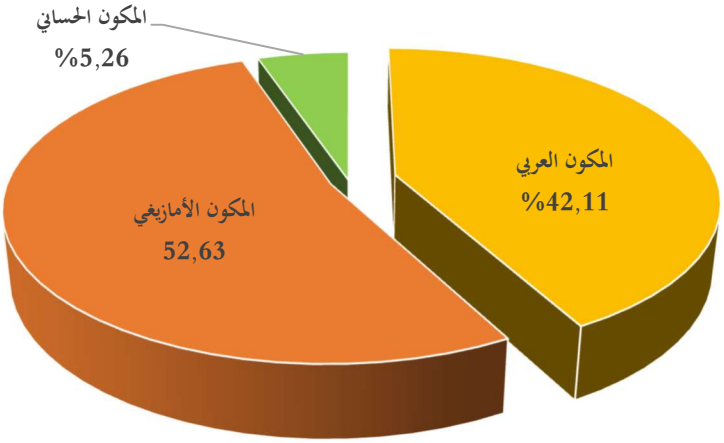

توزيع مكونات الثقافة الشعبية المغربية: رحاب اللغة العربية

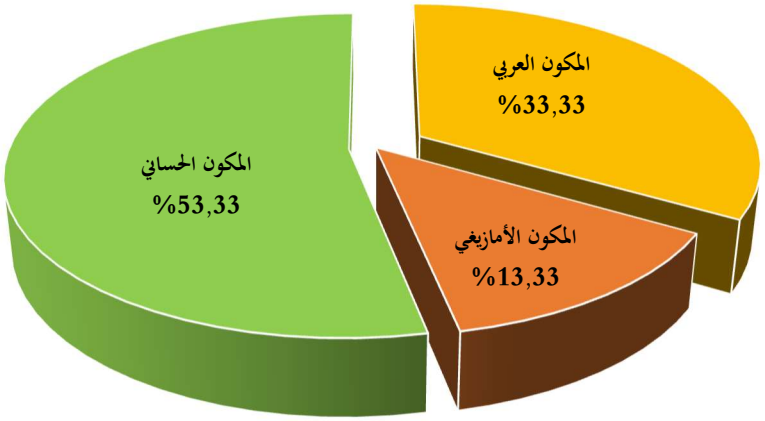

عند إلقاء نظرة على المكونات الثقافية بكل كتاب مدرسي يتبين لنا أن المكون العربي عرف توزيعا متقاربا شيئا ما، حيث تذبذبت نسب حضوره بين 50.00 % و33.33 %. في حين تأرجح حصيص المكون الأمازيغي وكان أحسن تمثيل له في كتاب "المرجع في اللغة العربية" (52.63 %) وأدناه (13.33 %) في كتاب " في رحاب اللغة العربية". هذا الأخير الذي سجل أحسن حضور للمكون الحساني (53.33 %)، وما عدا ذلك فقد عرف هذا المكون ظهورا ضعيفا في الكتابين الآخرين بلغ حد الظفر بصورة واحدة فقط (5.26 %). الشيء الذي يدفعنا إلى التنبيه إلى أهمية الصورة في التعريف بهذا المكون العريق والأساسي في الثقافة الشعبية المغربية. فهل تعكس طبيعة ظهور هذا المكون مكانته وأهميته داخل النسق الثقافي المغربي؟ هذا طبعا يتنافى وتركيب النسيج الثقافي المغربي المرتكز على المكونات الثقافية الثلاثة، التي تساهم بشكل كبير في ضمان السلم الاجتماعي وتقدم نموذجا للتعايش بين الثقافات أساسه التسامح وقبول الآخر. لذلك كان من اللازم أن تترجم الكتب المدرسية هذا التجانس الثقافي دون إقصاء أو تغليب.

يبدو أن وضع آليات وضوابط تقنن الحضور المتزن للتراث الشعبي المغربي ومكوناته أضحى أمرا ضروريا، خاصة أن السياسة التربوية تدعو إلى عرض متكامل لمكونات الثقافة الشعبية. يقول الميثاق الوطني للتربية والتكوين في إحدى فقراته: « يندرج النظام التربوي في حيوية نهضة البلاد الشاملة، القائمة على التوفيق الإيجابي بين الوفاء للأصالة والتطلع الدائم للمعاصرة، وجعل المجتمع المغربي يتفاعل مع مقومات هويته في انسجام وتكامل، وفي تفتح على معطيات الحضارة الإنسانية العصرية وما فيها من آليات وأنظمة تكرس حقوق الإنسان وتدعم كرامته».[28] كما يدعو الكتاب الأبيض إلى اعتماد مضامين توافق اختيارات وتوجهات محددة من خلال «اعتبار غنى وتنوع الثقافة الوطنية والثقافات المحلية والشعبية كروافد للمعرفة».[29] وبذلك يصبح تنقيح الكتب المدرسية أمرا ملحا تفرضه المرامي التربوية التي تضع من ضمن مواصفات المتعلم(ة) بالسلك الإعدادي أن يكون «متشبعا بقيم الحضارة المغربية بكل مكوناتها وواعيا بتنوع وتكامل روافدها».[30]

خاتمة

قدمت الكتب المدرسية عبر صورها عرضا تراثيا متنوعا بتنوع روافده غنيا بغنى عناصره، الشيء الذي يجعل المجال مفتوحا للمتعلم(ة)، على امتداد السنة الدراسية، بأن يطلع على تراث شعبي مغربي أصيل متعدد العناصر والروافد، مع الانفتاح على موروثات ثقافية أخرى.

بالموازاة مع ذلك أكدت الدراسة الكمية للصور ظفر التراث الشعبي المغربي بحصة لا بأس بها فاقت الثلث بقليل وبلغت إجمالا 36.58%، مبرهنة بذلك على استحضار واضح لهذا التراث في تأليف الكتب المدرسية. لكنها سجلت بالمقابل تفاوتا كبيرا بين هذه الكتب من حيث حصيص الصور الموظفة سواء المتعلقة بموضوعنا أو بمواضيع أخرى.

سعيا منا نحو التقرب أكثر من دلالات الصور، قررنا اعتماد معيارين اثنين كمؤشرين على أهمية موضوعنا: استئثار الموضوع وحجم الصورة. ليتضح لنا أن نسبة كبيرة من الصور غطت التراث الشعبي المغربي بشكل خاص. ثم تعززت لدينا القناعة أكثر بأهمية هذا التراث لدى الساهرين على تأليف الكتب المدرسية بعد النظر إلى الصور من زاوية الحجم، حيث إن نسبة مهمة منها وردت كبيرة الحجم علاوة على الصور المتوسطة التي ناهزت النصف.

وإذا كان التباين السمة الغالبة على توزيع عناصر التراث الشعبي المغربي داخل الصور، فإن مكونات الثقافة الشعبية المغربية لم تشذ عن هذه القاعدة. إذ عرفت تأرجحا بين الحضور الوازن والضعيف، خاصة المكون الحساني. مما يجعلنا نطرح السؤال حول مدى احترام التوجيهات التربوية الواردة بهذا الخصوص، والتي تحث على تقديم عرض يتلاءم وتكامل المكونات الثقافية المغربية.

خلصنا في دراستنا للصور إلى أن التراث الشعبي المغربي استطاع أن يضمن حضورا لا بأس به من حيث العدد، جيدا من حيث الأهمية. يؤكد ذلك عدد الصور الموظفة والمساحات التي تغطيها ودلالتها الخاصة على الموضوع. وحتى يكون هذا الحضور جيدا وفعالا ومواكبا للتوجهات التربوية العامة، لابد من إعادة النظر في توزيع العناصر التراثية والمكونات الثقافية لتكون أكثر توازنا، ضمانا لتغطية شاملة وتعريف موسع لهذا التراث ولروافده.

ومن أجل تقديم محتوى بصري يرقى إلى المطلوب ويحرص على تكافؤ الفرص، وحرصا على استثمار أفضل للصور فإننا نوصي بالآتي:

- تقيد الكتب المدرسية بما جاء في دفتر التحملات الخاص بتأليفها من خلال مراعاة التوازن، ما أمكن، بين هذه الكتب من حيث نصيب الصور الموظفة للدلالة على التراث الشعبي المغربي مقارنة مع باقي الصور. وذلك بتحديد مجال الفرق قصد تضييق الهوة فيما بينها. خاصة وأن المعطيات التي حصلنا عليها في دراستنا أثبتت إمكانية التقارب.
- ضرورة ضبط استثمار الصور المركزة على التراث الشعبي المغربي واستحضار أهمية معيار الحجم من أجل تقديم عرض بصري جذاب يضمن تكافؤ الفرص للجميع.
- إتاحة الفرصة للتلميذات والتلاميذ للتعرف على جميع أصناف التراث الشعبي المغربي عبر الصور، وعدم حرمانهم منها بإغفال أو تهميش أو تغييب أحدها، مع توخي العدل في توزيعها.
- ضمان تقديم جيد لمكونات الثقافة الشعبية المغربية، من خلال توظيف صور تعرف بها وتستحضر روافدها بشكل متكافئ، كما تعزز فكرة تكاملها وتعايشها.

الهوامش:

[1] رضا، محمد. (1960). معجم متن اللغة، مج 5، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.ص 7315

[2] آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز.(2008). القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، مصر. ص 46

[3] حنفي، حسن. (1992). التراث والتجديد، ط 4، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ص 13

[4] التويجري، عبد العزيز بن عثمان. (2012). التراث والهوية، الإسلام اليوم، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم إيسيسكو. ص15

[5] الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد.(2009)، الصحاح ، تحقيق محمد تامر، دار الحديث، القاهرة، مصر. ص 599 ـ 600

[6] هولتكرانس، إيكه. قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ترجمة الجوهري محمد والشامي حسن، ط 2، الهياة العامة لقصور الثقافة. ص 231

[7] غاليم، محمد. (2008)، مجلة الثقافة الشعبية، عدد 2، البحرين. ص131

[8] فهيم، حسين محمد. (1989) أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، عدد 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت. ص 106 ـ 107

[9] سليم، شاكر مصطفى. (1981) قاموس الأنثربولوجيا، ط 1. ص361

[10]البكر، محمود مفلح. (2009). مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة – مديرية التراث الشعبي، دمشق، سوريا. ص 76

[11] الجوهري وآخرون. (2006). مقدمة في دراسة الأدب الشعبي المصري، ط 1. ص 33

[12]سليم، شاكر مصطفى، نفس المرجع. ص427

[13] عماد، عبد الغني. (2006). سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان. ص156

[14] الحمود، نجية فايز. (صيف2015) الأدب الشعبي في العصر المملوكي: الزجل نموذجا، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 30، البحرين. ص31

[15] الشنو، سميرة محمد. (خريف 2011)، الفنون التشكيلية الشعبية وجماليتها في مملكة البحرين، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 15، البحرين.

[16] البكر، محمود مفلح، نفس المرجع. ص96

[17] بن الحاج، محمد. (شتنبر 2010). المجلس الأعلى للتعليم، مجلة دفاتر التربية والتكوين، العدد 3. المغرب. ص7

[18] العماري، يوسف. (شتنبر 2010) أسئلة أولية حول تقويم الكتاب المدرسي، مجلة دفاتر التربية والتكوين، العدد 3، المجلس الأعلى للتعليم، المغرب. ص 19

[19] وزارة التربية الوطنية والشباب. (أكتوبر 2003). دفتر التحملات الخاصة المتعلق بتأليف وإنتاج الكتب المدرسية: مادة اللغة العربية السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، المغرب. ص ـ 5

[20] أمون، جاك. (2013). الصورة، ترجمة ريتا الخوري، مراجعة جوزيف شريم، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان. ص7

[21] معزوز، عبد العالي. (2014) فلسفة الصورة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب. ص143

[22] عارف وآخرون، (2017). في رحاب اللغة العربية، مطبعة صناعة الكتاب. المغرب. ص175

[23] اللجنة الخاصة بالتكوين. (2000). الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وزارة التربية الوطنية، المغرب. ص8

[24] وزارة التربية الوطنية والشباب. (أكتوبر 2003). دفتر التحملات الخاصة المتعلق بتأليف وإنتاج الكتب المدرسية: مادة اللغة العربية السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، المغرب. ص ـ 9

[25] ندا، أيمن منصور. (2004) الصورة الذهنية والإعلامية: عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، المدينة بريس.ص91

[26] إبراهيم، إسماعيل. (2005) اتجاهات حديثة في الإخراج الصحفي، ط 1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. ص84

[27] الأمانة العامة للحكومة. (2011). دستور المملكة المغربية، مديرية المطبعة الرسمية، المغرب. ص2

[28] اللجنة الخاصة بالتكوين. (2000). الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وزارة التربية الوطنية، المغرب.

[29] لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي. (يونيو 2002)، الكتاب الأبيض، ج 1، وزارة التربية الوطنية، المغرب. ص14

[30] لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي. (يونيو 2002)، الكتاب الأبيض، ج 1، وزارة التربية الوطنية، المغرب. ص25